

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصريح

في الكتاب الذي أصدرناه منذ شهر عن «مصر والسيادة على السودان»
أوضحنا ما تستند إليه مصر من حقوق شرعية في أن يضم وادي النيل بشطريه
سمياج واحد في ظل تاج واحد كما كانت الحال في عهد محمد علي الكبير وخلفائه
من أفراد البيت العلوي العتيد . ولا ريب في أن حصفاء القراء من ذوى
الافهام السليمة والفطر المستقيمة قد استبانوا من خلال السطور ومن تلقاء
أنفسهم أننا حين ذكرنا لفظ السيادة إنما قصدنا معناه الفقهي وما ينصرف
إليه من تعيين مقر السلطة العليا في الدولة لا المعنى اللغوي وما ينطوى عليه
من فكرة السيطرة والاستعلاء .

على أن هناك موضوعاً آخر له وزنه وخطره فيما يتصل بشؤون مصر
والسودان ونعني به النهج الذي سلكه المصريون في إدارة السودان . وقد
استطعنا - على ضوء ما توافر لدينا من الوثائق وأقوال المعاصرين - أن نكشف
عن الأسس التي استرشدت بها مصر في حكم جنوب الوادي مدى ستين عاماً
فاتضح أن ما يسمى اليوم سودنة الوظائف ليس بالأمر الجديد بل كان أسلوباً
من الأساليب الإدارية المألوفة في عهد محمد علي وخلفائه ، وأن الحكام المصريين
كانوا يعتبرون مصر والسودان قطراً واحداً يعملون على إسعادهم دون تفرقة
بين أهل الشمال وأهل الجنوب وليس أدل على ذلك من تلك الأموال الطائلة
التي كانت ترسل في كل عام من القاهرة إلى الخرطوم لسد ما هنالك من عجز
في مالية السودان .

وإذا كان هناك ما يؤسف له فهو أن جميع هذه الحقائق الثابتة قد طمسها يد الزمن وأسدت عليها ستاراً كثيفاً من النسيان ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قدر لتلك الحقائق أن تتعرض لضروب من المسخ والتشويه بات معها الحكم المصرى فى السودان موسوماً بطابع القسوة والاستغلال . ولما كانت هذه الأكدوبة التاريخية الضخمة قد استقرت فى بعض الأذهان على أنها حقيقة ثابتة فلم يكن هناك معدى عن أن أضع كتاباً يكشف عن وجه الحق فى موضوع كبير الأثر جليل الخطر كهذا الموضوع . فالواقع أن الحكم المصرى فى السودان كان حكماً صالحاً مستنيراً يستهدف رفاهية السودانيين خاصة وخدمة الإنسانية عامة . شهد بذلك قناصل الدول فى الخرطوم الذين زاروا السودان والراية المصرية تخفق فوق ربوعه . أما تلك الثورة الجاحمة التى أشعل المهدى ناراها فليست دليلاً على سوء الإدارة المصرية إذ كانت فى حقيقة أمرها فتنة هو جاء قام بها تجار الرقيق ضد طائفة من الموظفين الأوربيين فى السودان لم يصطنعوا الريث والأناة فى محاربة الرق والنخاسة بل ركبوا متن الشطط وأبوا إلا القضاء عليها « بالنار والسيف » فى أقصر وقت مستطاع متجاهلين سياسة التدرج ومخالفين طبيعة الأشياء .

على أنى قد أخذت نفسى عند وضع هذا الكتاب بالانزام الأمانة العلمية ولهذا لم أدع الحقائق تمر دون أن أسجل مصادرها فى هوامش البحث كما عانيت بنشر طائفة من الوثائق والمصورات والمراجع استكمالاً للفائدة . وإذا كنت قد استطعت أن أفرغ من هذا البحث فى زمن وجيز فقد أعاننى على ذلك ما وجه إلى من دعوات كريمة لألقاء بعض المحاضرات العامة فى الموضوع الذى أعالجه وقد ألقى أولها فى نادى القنال بيورسعيد فى ١٤ مارس ١٩٤٧ عن « الحكم المصرى فى السودان » وثانيها فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة فى ٣٧ مارس وموضوعها « بين مصر والسودان فى العصر الحديث » أما المحاضرة الثالثة

فألقيت في اتحاد كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية في ٣٠ أبريل
عن « عهد المصرية في السودان » .

وبعد فما يحمل بي أن أضع القلم دون أن أعترف بتلك المساعدات القيمة
التي لقيتها من زملائي وإخواني الأفاضل حضرات الأساتذة عبد المقصود
العنانى وسيد محمد خليل وفؤاد بطرس زكى وأحمد فريد على مصطفى ويوسف
خليل جاد الله وأحمد عبد الرحيم مصطفى ؛ كما أشكر لصديقي الأستاذ محمد أحمد
الجبارى ما أفدته من واسع خبرته بشئون القطر الشقيق بعد أن قضى سنوات
طويلة في خدمة حكومة السودان . ولا يفوتنى كذلك أن أنوه بجهود الأنسة
ليلى عبد اللطيف الصباغ لما بذلته من معونة صادقة في إعداد الوثائق .
جزاهم الله عنى جميعاً خير الجزاء ؟

المؤلف

القاهرة : يونيو ١٩٤٧